



ندوة

﴿ الجوانب الاقتصادية في حياة الأنبياء عليهم السلام ﴾

يوم السبت ٢٠ صفر ١٤٢٥هـ الموافق ١٠ أبريل ٢٠٠٤م

الجوانب الاقتصادية في حياة نبي الله شبيب على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأتم السلام

إعداد

الأستاذ الدكتور / أحمد عبد المبدى أحمد النجمى

الأستاذ المساعد بقسم الأديان والمذاهب
كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة
جامعة الأزهر

مدينة نصر - القاهرة - جمهورية مصر العربية

تليفون ٤٠٣١٥١٤ - ٢٦١٠٣٠٨ - ٢٦١٠٣١١ - ٢٦١٠٣١٢ - تليفاكس ٢٦١٠٣١٢

Nasr City, Cairo, Egypt, Tel.: ٤٠٣٧٥١٤-٢٦١٠٣٠٨ - ٢٦١٠٣١١, TelFax: No. ٢٦١٠٣١٢
www.SAKC.gq.nu E-mail: saleikamel@yahoo.com

مقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي خلق الناس وتعهدهم بالهداية والإصلاح ؛ فأرسل الرسل ، وأنزل الشرائع ، وختمها بالمنهج الشامل الخالد ، وهو الإسلام ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى جميع إخوانه الأنبياء والمرسلين ، ورضى الله - تبارك وتعالى، عن الآل، والصحب والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين . . وبعد ،،،
فإن جميع الرسل أرسلهم الله - تعالى - مصابيح هدى ومنارات إرشاد ، يهتدى بهم كل عاقل ، ويقتدى بهم كل لبيب .

والرسل ما جاءوا، بما جاءوا به من عند الله - تعالى - ليسألوا الناس أموالهم، أو أن يشاركوهم متاعهم؛ لأنهم يعلمون جيداً أنه لا يقدر ما جاءوا به حق قدره إلا من أرسلهم به، وبالتالي فلن يستطيع أحد أن يجازيهم عليه إلا الله - تعالى - ولكنهم جاءوا بما أرسلوا به من منهج لإصلاح شئون البشر وإسعادهم في الدنيا والآخرة .

وسيدنا شعيب عليه السلام " واحد من بين هؤلاء الأنبياء ، وهو الذي بذل كل ما يملك من جهد لهداية قومه ، ووضع لبنة عظيمة في بناء الهداية والإصلاح ، في جميع مجالات الحياة ، وبالأخص المجال الاقتصادي ؛ وهذا ما دعاني إلى كتابة هذا البحث الموجز، بعنوان: (الجوانب الاقتصادية في حياة نبي الله شعيب عليه السلام) وقد اشتمل على هذه المقدمة وثلاثة مطالب هي :

- المطلب الأول : وقد قمت فيه بالتعريف بالنبي شعيب عليه السلام " وبقومه .
 - المطلب الثاني : وقد تناولت فيه الجوانب الاقتصادية في حياة النبي شعيب عليه السلام " بين التشخيص والعلاج .
 - المطلب الثالث : وقد ذكرت من خلاله خلاصة هدى النبي شعيب عليه السلام " في الجوانب الاقتصادية التي تضمنتها دعوته .
 - وختمت البحث بقائمة المراجع مرتبة ترتيباً أبجدياً ، وبفهرس الموضوعات .
- وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ...



المطلب الأول

التعريف بنبي الله شعيب " عليه السلام " وبقومه

في بداية الحديث عن الجوانب الاقتصادية في حياة ، أو في دعوة سيدنا شعيب " عليه السلام " ينبغي الابتداء بالحديث عن التعريف بسيدنا شعيب " عليه السلام " وبقومه على النحو التالي :

أولاً : التعريف بسيدنا شعيب " عليه السلام " :

ورد في (البداية والنهاية) : (وشعيب نبيهم " أى نبي أهل مدين " وهو ابن ميكيل أو ميكائيل بن يشجن ، ذكره ابن إسحاق ، قال : ويقال له بالسريانية : يثرون أو يثرون ، ويقال : شعيب بن يشخر بن لاوى بن يعقوب ، ويقال : شعيب بن نوب بن عيفا ، أو ابن عنقا بن مدين بن إبراهيم ، ويقال : شعيب بن ضيفور بن عيفا ابن ثابت بن مدين بن إبراهيم ، وقيل غير ذلك في نسبه .

المطلب الأول

قال ابن عساکر : ويقال جدته ، ويقال أمه : بنت لوط ، وكان ممن آمن بإبراهيم وهاجر معه ودخل معه دمشق وذكر أبو عمر ابن عبد البر في (الاستيعاب) في ترجمة سلمة بن سعد العنزي : قدم على رسول الله " ﷺ " فأسلم وانتسب إلى عنزة ، فقال : (نعم الحي عنزة ، مبعي عليهم منصورون ، قوم شعيب وأختان موسى) ، فأوضح هذا الدليل أن شعيباً قريباً لموسى ، وأنه من قبيلة من قبائل العرب العاربة ، يقال لهم : عنزة ، لا أنهم من عنزة بن أسد ابن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ؛ فإن هؤلاء بعده بدهر طويل ، والله أعلم .

ورد في (البداية والنهاية) : (وشعيب نبيهم " أى نبي أهل مدين " وهو ابن ميكيل أو ميكائيل بن يشجن ، ذكره ابن إسحاق ، قال : ويقال له بالسريانية : يثرون أو يثرون ، ويقال : شعيب بن يشخر بن لاوى بن يعقوب ، ويقال : شعيب بن نوب بن عيفا ، أو ابن عنقا بن مدين بن إبراهيم ، ويقال : شعيب بن ضيفور بن عيفا ابن ثابت بن مدين بن إبراهيم ، وقيل برسالته ، وقد روى ابن إسحاق بن بشر عن جويبر ومقاتل عن الضحاک عن ابن عباس " رضی اللہ عنہما " : قال : كان رسول الله " ﷺ " إذا ذكر شعيباً قال : (ذاك خطيب الأنبياء) (١) .

قال ابن عساکر : ويقال جدته ، ويقال أمه : بنت لوط ، وكان ممن آمن بإبراهيم وهاجر معه ودخل معه دمشق وذكر أبو عمر ابن عبد البر في (الاستيعاب) في

(١) البداية والنهاية — للإمام الحافظ ابن كثير — رحمه الله تعالى — ج ١ ص ١٨٥ تصرف — م دار الفكر — النبل للطاعة — الناشر دار الفكر العربي .

(نعم الحي عنزة ، مبعي عليهم منصورون ، قوم شعيب وأختان موسى) ، فأوضح هذا الدليل أن شعيباً قريباً لموسى ، وأنه من قبيلة من قبائل العرب العاربة ، يقال لهم : عنزة ، لا أنهم

وقيل : (إن والد شعيب كان متزوجاً بأمرأة من العمالقة ، فولدت له ولداً ، وهو شعيب واسمه بيرون حين كان غلاماً ، وكان سبب تسميته شعيباً : أن والده لما كبر سنه وضعف خاف على نفسه من كثرة القوم ؛ فرجا أن يسعفه ولده ؛ فكان يقول : اللهم بارك لى فى شعيبى أى ولدى؛ فغلب اسم شعيب ؛ فقليل له : شعيب ، وسقط عنه الاسم الأول ، ثم توفى أبوه ، فقام شعيب مقام أبيه ، وفاق بالزهد والعبادة أهل زمانه من أهل مدين ، واشتهر بذلك)^(١).

ويستنتج مما سبق : أن سيدنا شعيباً عليه السلام هو نبي عربى ينتهى نسبه إلى خليل الرحمن سيدنا إبراهيم عليه السلام " كما يبدو واضحاً عدم التعارض بين الأسماء التى أطلقت عليه؛ فقد عُرف باسم بيرون وهو غلام صغير ، وعُرف بعد ذلك باسم شعيب ، وهذا الاسم ينطق يترون أو يثرون باللسان السريانى، وكذلك يتضح أن نبي الله شعيباً عليه السلام هو والد زوجة نبي الله موسى عليه السلام ".
(وقد نشأ شعيب عليه السلام " فى أرض مدين ، وهى قرية من أرض معان على أطرف الشام مما يلى ناحية الحجاز ، وقد سميت القبيلة التى ينتمى إليها شعيب باسم هذه القرية)^(٢).

وقد أشار القرآن الكريم إلى سيدنا شعيب عليه السلام " فى سورة القصص ، وذلك من خلال قول الله - تعالى - : ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ ^(٣).

وقد ورد فى تفسير هذه الآية : (وقد اختلف المفسرون فى هذا الرجل من هو ؟ على أقوال أحدها : أنه شعيب النبی عليه السلام " الذى أرسل إلى أهل مدين ، وهذا هو المشهور عند كثير من العلماء ، وقد قاله الحسن البصرى وغير واحد ، ورواه ابن أبى حاتم قال : حدثنا أبى حدثنا ابن عبد العزيز الأودى ، حدثنا مالك بن أنس رحمهم الله " أنه بلغه أن شعيباً هو الذى قص عليه موسى القصص)^(٤).

(١) راجع : بدائع الزهور فى وقائع الدهور - للعلامة ابن إياس - ص ١١٣ - دار إحياء الكتب العربية .

(٢) تاريخ الأنبياء فى ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية - د / محمد الطيب النجار - ص ١٧١ - م . دار النصر للطباعة الإسلامية - الناشر دار الاعتصام .

(٣) سورة القصص الآية (٢٥) .

(٤) تفسير القرآن العظيم - للإمام الحافظ ابن كثير - رحمه الله - ج ٣ ص ٣٨٤ - مكتبة التراث الإسلامى - سوريا حلب .

ولما تم الاتفاق بين موسى وشعيب " عليهما السلام " وتزوج موسى إحدى ابنتيه ، ولما أراد موسى الانصراف لرعى الغنم (قال له شعيب : أدخل هذا البيت وخذ عصا ، فدخل موسى ونظر إلى عصى معلقة ، فأخذ من جملتها عصا حمراء ، فقال شعيب : أرني هذه العصا التي أخذتها يا موسى ، فلما لمسها شعيب ؛ قال ضعها مكانها وخذ غيرها وأرني ما أخذت ، ففعل ذلك موسى مراراً ، فكان كلما وضعها وأخذ غيرها لا يخرج بيده إلا تلك العصا ، فقال شعيب : يا موسى خذها فهي من أشجار الجنة أهداها الله لآدم ، يا موسى وإنني لموصيك بها فاحفظها ، وإن أهل مدين يحسدونني ؛ فيدلوك على مكان لا ماء فيه ولا مرعى فاعلم ذلك ، فخرج موسى بغنم شعيب ، وكانت أربعمئة شاة ، فمازالت تزيد مع موسى حتى صارت أربعين ألفاً ، وكان لا يجسر أحد من الرعاة أن يسقى قبل موسى ، فلما بلغ موسى الثمانى حجج ، قال له شعيب : مهما جاء من الغنم ذكوراً فى السنة التاسعة فهي لك وفى السنة العاشرة إناثاً فهي لك ، فأنت الأغنام فى التاسعة بذكور خلص ، وفى العاشرة بإنثا خلص ، فسبحان الرزاق العليم ، فأخذ الجميع موسى .

فلما عزم موسى على الانصراف ؛ بكى شعيب ، وقال : يا موسى كنت مباركاً على فكيف تخرج بابنتي وقد كبرت وضعف بصرى ، وكثر حسادى ، وغنمى شاردة بغير راع ، فقال موسى : طالت غيبتى عن أمى وأختى وخالتي ، وقد تركتهم فى بلدة فرعون ، فقال شعيب : أكره أن أمنعك عن أمك ، وهذه بنتى معك نعم الصاحب لك ، فكن بها شقيقاً ، ونعم الرفيق أنت وهى ، وأوصاها كذلك ، ودعا لهما^(١) .

هذا جانب من قصة سيدنا شعيب مع سيدنا موسى " عليهما السلام " يظهر بعض سمات نبي الله شعيب " عليه السلام " تتلخص هذه السمات فى : مروءته ، وكرمه ، واحترامه للوعد ، ووافر تقديره لبر الوالدين وصلة الرحم ، وهذه السمات لا تجتمع وغيرها من السمات الفاضلة ولا تتوافر لشخصية ما إلا إذا كانت هذه الشخصية لشخص ملتزم لمنهج الله — تعالى — كنبى الله شعيب " عليه السلام " . .

هذا . (وقد ذكر الحافظ بن عساكر — فى تاريخه — عن ابن عباس " رضيه " أن شعيباً " عليه السلام " كان بعد يوسف " عليه السلام " . .

وعن وهب بن منبه أن شعيباً " عليه السلام " مات بمكة ومن معه من المؤمنين ، وقبورهم
غربى الكعبة بين دار الندوة ودار بنى سهم (١) .

ويؤكد ما ذكره الحافظ بن عساكر ما جاء في القرآن الكريم على لسان مؤمن آل
فرعون: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ
قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾ (٢) ، أما ما ذهب
إليه ابن منبه ، فالله أعلم بمدى صحته ! ! وصلاة وسلاماً على نبي الله شعيب وعلى جميع
إخوانه الأنبياء والمرسلين .

ثانياً: التعريف بقوم سيدنا شعيب " عليه السلام " :

تُعرف المنطقة التي ظهر فيها النبي شعيب " عليه السلام " بمنطقة مدين أو مديان ، وأياً كان
الاسم فالمسى واحد ، وأسماء البلدان والأقاليم — غالباً — ما يؤثر فيها : اسماً ومبنى تتابع
الزمن وتعاقب الأجيال ، ولكن لنعلم أن أصدق الأسماء وأصحها ما جاء به القرآن الكريم ؛
لأنه قول الله الخلاق العليم وتنزيل من حكيم حميد ! !

وقد سمي القرآن الكريم قوم شعيب " عليه السلام " بمدين ، فقال تعالى: ﴿وإلى مدين أخاهم
شعيباً فقال يا قوم اعبدوا وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ (٣) .

والآن لتتعرف على منطقة مدين وأهلها : (ومدين : اسم أعجمي ، وإن اشتقاقه من
العربية فالياء زائدة ، وقد يكون مفعلاً وهو أظهر . ومدين : اسم قرية شعيب " على نبينا
وعليه أفضل الصلاة والسلام " والنسب إليها مَدِينِيٌّ) (٤) .

وورد : (مديان : اسم سامي معناه " محكمة " أطلق هذا الاسم في كتاب العهد القديم
على أحد أبناء إبراهيم من قطورة ، وقد جعله الكتاب المذكور جد المديانيين . مديان : منطقة
في الشمال الغربي من شبه جزيرة العرب ، تمتد من خليج العقبة شمالاً إلى مؤاب وطور

(١) البداية والنهاية — للإمام الحافظ ابن كثير — ج ١ ص ١٩١ .

(٢) سورة غافر الآية (٣٤) .

(٣) سورة العنكبوت الآية (٣٦) .

(٤) لسان العرب لابن منظور — المجلد ١٣ ص ٤-٣ — مادة مدن — ط. الثالثة — م . دار صادر

بيوت — الناشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

سيناء ، تحتوى هذه المنطقة على طبقات معدنية " نحاس وفضة وذهب " استغلها المصريون والرومان فى العصور القديمة^(١).

وجاء فى قاموس الكتاب المقدس : (وقال بعضهم : إن أرض مديان كانت تمتد من خليج العقبة إلى مؤاب وطور سيناء ، وكان شعبها يتاجرون مع فلسطين ولبنان ومصر ، وكانوا فى رفقة الإسماعيليين لما بيع يوسف ، وكان الإسماعيليون من سكان مديان ، وسكن موسى مدة فى مديان ، والمنطقة التى تقع شرقى خليج العقبة تسمى الآن مديان)^(٢).

وقد أشارت دائرة المعارف الكتابية إلى مديان حيث جاء بها ما ملخصه :

(مديان كلمة سامية معناها : نزاع أو مخاصمة ، وهو اسم الابن الرابع لإبراهيم من زوجته قطورة ، وكان له خمسة أبناء رؤوس عشائرهم : عيفة وعفر وحنوك وأبيداع والدعة ، ومنهم جاء المديانيون ..

وكان التجار الذين اشتروا يوسف بعد إخراجه من البئر ، قافلة تجار مديانيين ، كما يوصفون بأنهم إسماعيليون ، إذ يبدو أنه قد حدث تزاوج واسع بين المديانيين والإسماعيليين ، واختلطت القبيلتان .

ويتفق معظم العلماء على أن بلاد مديان كانت تطلق — أساساً — على المنطقة الواقعة شرقى خليج العقبة فى شبه الجزيرة العربية ... كما ذكر يوسيفوس المؤرخ اليهودى (فى القرن الأول الميلادى) أنها تقع على ساحل البحر الأحمر ، أى على خليج العقبة)^(٣).

ومن ينظر — بتدبر — إلى أسلوب تعبير القرآن الكريم عن قوم سيدنا شعيب " عليه السلام " يلاحظ شدة التصاقهم بهذا الاسم ، يشير إلى ذلك صاحب التفسير الكبير حيث يقول : قال الله — تعالى — فى نوح " عليه السلام " : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ .. ﴾ قدم نوحاً فى الذكر ، وعرف القوم بالإضافة إليه ، وكذلك فى إبراهيم ولوط " عليهما السلام " ، وها هنا ذكر القوم أولاً وأضاف إليهم أخاهم شعيباً ، فنقول : الأصل فى جميع المواضع أن يذكر القوم ثم

(١) معجم الحضارات السامية — هنرى س عبودى — ص ٧٨٠ — ط . الثانية — م جروس برس — طرابلس لبنان.

(٢) راجع : قاموس لكتاب المقدس — تأليف نخبة من الأساتذة ذوى الاختصاص ومن اللاهوتيين — ص ٨٥٠ — م . دار الثقافة .

(٣) راجع : دائرة المعارف الكتابية — د / ميس عبد النور وآخرون — مادة مديان — ج ٧ ص ١١١ ، ١١٢ — ط . الثانية — م . دار الثقافة .

يذكر رسولهم ؛ لأن المرسل لا يبعث رسولاً إلى غير معين ، وإنما يحصل قوم أو شخص يحتاجون إلى إنباء من المرسل ، فيرسل إليهم من يختاره ، غير أن قوم نوح وإبراهيم ولوط " عليهما السلام " لم يكن لهم اسم خاص ولا نسبة مخصوصة يعرفون بها ؛ فعرفوا بالنبي ، فقل : قوم نوح وقوم لوط ، وأما قوم شعيب وهود وصالح فكان لهم نسب معلوم اشتهروا به عند الناس ، فجرى الكلام على أصله ، وقال الله تعالى : ﴿وَالِىَ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا...﴾ وقال : ﴿وَالِىَ عَادَ أَخَاهُمْ هُودًا ..﴾ (١).

وقد عُرف قوم مدين " ﷺ " بأصحاب الأيكة ، وذلك من خلال قول الله تعالى : ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمُ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ (٢) (والأيكة شجرة من الأيكة كانوا يعبدونها من دون الله) (٣) فذهب البعض إلى أن شعيباً " ﷺ " قد أرسله الله — تعالى — إلى قبيلتين هما : مدين وأصحاب الأيكة.

وقد ذكر ذلك صاحب البداية والنهاية ورد عليه رداً مقنعاً حيث قال : (ومن زعم من المفسرين — كقتادة وغيره — أن أصحاب الأيكة أمة أخرى غير أهل مدين ، فقوله ضعيف ، وإنما عمدتهم شيخان : أحدهما : أنه قال تعالى : ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمُ شُعَيْبٌ﴾ ولم يقل أخوهم كما قال — تعالى — : ﴿وَالِىَ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا...﴾ ، والثانى : أنه — تعالى — ذكر عذابهم بيوم الظلة ، وذكر — تعالى — فى أولئك الرجعة أو الصيحة .

والجواب عن الأول : أنه — تعالى — لم يذكر الأخوة بعد قوله — سبحانه — : ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾ ، لأنه وصفهم بعبادة الأيكة ، فلا يناسب ذكر الأخوة ههنا ، ولما نسبهم إلى القبيلة شاع ذكر شعيب بأنه أخوهم . وهذا الفرق من النفائس اللطيفة العريضة الشريفة .

وأما احتجاجهم بيوم الظلة فإن كان دليلاً — بمجرد — على أن هؤلاء أمة أخرى ؛ فليكن تعداد الانتقام بالرجفة والصيحة دليلاً على أنهما أمتان أخريان ، وهذا لا يقوله أحد يفهم شيئاً من هذا الشأن .

(١) التفسير الكبير — للإمام الفخر الرازى — ج ٢٥ ص ٦٤ — ط . الثالثة — م . دار إحياء التراث العربى — بيروت .

(٢) سورة الشعراء الآيتان (١٧٦ ، ١٧٧) .

(٣) مع الأنبياء والرسول — د / عبد الحليم محمود — ص ٢-١ — ط . الثانية — مطابع دار المعارف .

فأما الحديث الذي أورده الحافظ ابن عساكر في ترجمة النبي شعيب "عليه السلام" من طريق محمد بن عثمان بن أبي شيبة عن أبيه عن معاوية بن هشام عن هشام ابن سعد عن شفيق بن أبي هلال عن ربيعة بن سيف عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً (إن مدين وأصقاب الأيكة أمتان بعث الله إليهما شعيباً النبي "عليه السلام" فإنه حديث غريب ، وفي رجاله من تكلم فيه . والأشبه أنه من كلام عبد الله بن عمرو ، بسبب ما أصابه يوم اليرموك من تلك الزامتين من أخبار بنى إسرائيل ، والله أعلم .

ثم قد ذكر الله - تعالى عن أهل الأيكة من المزمة ما ذكره عن أهل مدين من التطفيف في الكيل والميزان ؛ فدل على أنهم أمة واحدة أهلكوا بأنواع من العذاب ، وذكر في كل موضع ما يناسبه من الخطاب^(١).

فلما توعدوا شعيباً "عليه السلام" وأصحابه بالإخراج من قريتهم ، وأرجفوا به وبالمؤمنين أخذتهم الرجفة ، ولما تهكموا بهم واستهزأوا وتمادوا في ذلك أصابتهم الصيحة ، ولما طلبوا من نبيهم أن يسقط عليهم كسفاً من السماء إن كان من الصادقين ، وقع عليهم عذاب يوم الظلة ، وكل هذه الأنواع من العذاب وقعت عليهم في وقت واحد متتابعة جزاء كفرهم وإفسادهم في الأرض ؛ فكان جزاء وفاقاً .



(١) البداية والنهاية - للإمام الحافظ ابن كثير - رحمه الله - ج ١ ص ١٨٩ ، ١٩٠ .

المطلب الثاني

أهم الأنشطة الاقتصادية في حياة نبي الله شعيب "عليه السلام"

لا يخلو أى مجتمع - صغر أو كبر - من الاكتراس بالجوانب الاقتصادية وذلك لأن الاقتصاد هو عصب الحياة ، وبقدر ما يحدث التواءم الاقتصادى : بين أفراد المجتمع الواحد ، أو بين المجتمعات بعضها مع البعض ، تسود المحبة ، وينتشر السلام ، ويعم العمران .
والناظر لكل مراحل التاريخ ، يلاحظ أن ما حدث ويحدث من حروب وتشاحن واحتلال مرجعه الأساسى مرض عضال من الأمراض الاقتصادية مثل : الاستغلال ، والأثرة ، والجشع ، والاحتكار ، وبخس الناس حقوقهم ، والحب الجم للمال ، والسيطرة الاقتصادية على الغير . وغير ذلك من الأمراض .

من أجل ذلك أدمت المنهج الإلهى - عبر جميع مراحلها إلى أن اكتمل برسالة خاتم الأنبياء سيدنا محمد "ﷺ" - ببناء الحياة الاقتصادية بناءً سليماً على أسس قوية ودعائم مستقيمة .

وسيدنا شعيب "عليه السلام" قد ساهم مساهمة واضحة فى بناء الحياة الاقتصادية ، يتضح ذلك من خلال النقاط الآتية :

أولاً : مهمة نبي الله شعيب "عليه السلام" الأساسية :

بُعث نبي الله شعيب "عليه السلام" "لهداية قومه روحياً ومادياً ؛ ليسعدوا فى دنياهم وآخرتهم (والله - سبحانه وتعالى - يرسل الرسل ؛ ليبينوا للناس أمرين : الأول منهما : رسم طريق الهداية فى أوله وقواعده ، مثل : طريق الهداية فى العقيدة ، وطريق الهداية فى الأخلاق ، وطريق الهداية فى التشريع ، أى رسم الطريق الذى يسود به الأمن فى المجتمع ، وتكون به السعادة ، وهو طريق لا يرسمونه من عند أنفسهم ، ولا يخرعون عنه من بنات أفكارهم ، وإنما يتلقونه عن الله - تعالى - فيبلغونه للناس ، ويعملون جهدهم على نشره وتحقيقه .

والأمر الثانى اذى من أجله أرسل الرسل : هو بيان الآثام التى أمر الله - سبحانه وتعالى - باجتنابها ، وهى آثام تضر بالفرد فى نفسه ، وتضر بالمجتمع وإذا كانت بعض هذه الآثام منتشرة فى البيئة التى يرسل فيها الرسول ؛ فإنه يُعنى بها عناية خاصة .

ولقد انحرف أصحاب مدين في جميع المجالات وبالدرجة الأولى المجالات الروحية ،
أى فى العقيدة وفى الأخلاق وفى التشريع ، فكان من العدل الإلهى أن لا يعذبهم حتى يرسل
لهم رسولاً؛ لأنه يقول - سبحانه وتعالى-: ﴿... وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (١) (٢).
فالعقيدة السليمة هى الأساس القوى لبناء كل نواحى الحياة بناءً قوياً متماسكاً متكاملًا .

وعلى هذا النحو (ركزت دعوة شعيب " عليه السلام " على التوحيد ، باعتباره وثيق الصلة
بالدعوة إلى الأمانة ، والعدالة فى التعامل ، وهو قاعدة تُبنى عليها المعاملات والأخلاق ؛
ولهذا رتب شعيب " عليه السلام " فى دعوته قومه إلى التوحيد دعوتهم إلى إيفاء الكيل والميزان ،
ونهاهم عن البخل والفساد ، وجاءهم ببينة تثبت صدق دعواه أسوة بغيره من الرسل " عليهم
الصلاة والسلام " ، والمنطلق فى دعوة الرسل جميعاً : عبادة الله - تعالى - والدينونة
له، وإفراده بالسلطان وحده ، فى أمور الحياة كلها .

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ
وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (٣).
ومناهج الإصلاح للحياة وأوضاعها ، بما فى ذلك السلوك والخلق ، والتعامل بين
البشر بعضهم مع بعض ، واستقامة ذلك كله ، منوط باستقامة القاعدة التى يبنى عليها ، وهى
العقيدة ؛ لأنها الأساس الذى يرتفع عليه البناء (٤).

وجميع الآيات القرآنية التى تناولت دعوة نبي الله شعيب " عليه السلام " ذكرت أن اهتمامه
كان منصباً - فى بدايته - على الاهتمام ببناء العقيدة السليمة ، وذلك من خلال دعوته لهم
بعبادة الله - تعالى - وتقواه: بقول الله - تبارك وتعالى - : ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ
يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ...﴾ (٥)، ويقول - سبحانه -:
﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا

(١) سورة الإسراء من الآية (١٥) .

(٢) مع الأنبياء والرسل - الإمام د / عبد الحليم محمود - رحمه الله - ص ٢٠٠ بتصرف يسير .

(٣) سورة النحل الآية (٣٦) .

(٤) الدعاة إلى الله فى القرآن الكريم ومناهجهم - د/ محمد طلعت أبو صير - ص ١٤٤ - المطبعة العربية
الحديثة .

(٥) سورة الأعراف من الآية (٨٥) .

اللَّهُ وَأَطِيعُونَ^(١)، وينول — جل شأنه —: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَأْقُومُ اعْبُدُوا اللَّهَ
وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ^(٢)﴾.

(فأنت ترى أن شعيباً " عليه السلام " وهو خطيب الأنبياء — كما جاء في الحديث الشريف
— قد أمر قومه بإخلاص العبادة ، وبالعامل الصالح الذي ينفعهم في أخراهم ونهاهم عن
الإفساد في الأرض)^(٣).

فدعاهم — أولاً — إلى العقيدة الصحيحة التي هي الأساس الأول لبناء الحياة السليمة .

ثانياً : النشاط الاقتصادي لأهل مدين وأمراضه :

تعتبر التجارة من أقدم الأنشطة الاقتصادية التي عرفها مجتمع البشر ، فطالما وجد
مجتمع من الناس ، وجد بينهم تبادل تجارى بقدر احتياج بعضهم لبعض ، وسنة الله — تعالى
— اقتضت التفاوت بين الناس — فى الأرزاق — حتى يحدث التعاون والتكامل فيما بينهم .

(وكان أهل مدين أصحاب تجارات ، يشترون الحنطة والشعير وغير ذلك من
الحبوب ، ويخزنونها عندهم ، ويتربصون بها الغلاء ؛ فهم أول المحتكرين . وكان لكل تاجر
مكيالان : مكيال واف لأجل الشراء ، ومكيال ناقص لأجل البيع ، وميزانان كذلك)^(٤).

ويقول الدكتور / عبد الحليم محمود : (أما الاسم الذى اشتهر به أهل مدين ، والذى
كرر شعيب " عليه السلام " الحديث عنه معهم أمراً ونهياً ، فهو اسم يتصل بالتجارة . لقد كانت
التجارة عندهم فى غاية السوء ؛ فقد كانوا يطففون الكيل والميزان ، فيزيدون إذا أخذوا ،
وينقصون إذا أعطوا)^(٥).

وقد سبق أن أمدل مدين كانت لهم قوافل تجارية إلى مصر وإلى لبنان ، وقيل : هم
الذين اشتروا يوسف " عليه السلام " بعد إخراجه من البئر، ومع أن الله — تعالى — قد حبا أهل مدين
بالرزق الوفير إلا أنهم أبوا إلا أن يسلكوا — فى نشاطهم التجارى — مسالك ملتوية ، تتمثل فى
بعض الأمراض الاقتصادية الآتية :

(١) سورة الشعراء الآيات (١٧٦ — ١٧٩) .

(٢) سورة العنكبوت الآية (٣٦) .

(٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم — د / محمد سيد طنطاوى — المجلد (١١) ص ٤٤ — ط . الثانية —
مطبعة دار السعادة

(٤) راجع : بدائع الزهرير — لابن عباس — ص ١١٣ ، ١١٤ .

(٥) مع الأنبياء والرسل — د / عبد الحليم محمود — ص ٢٠٣ — مرجع سابق .

(١) ظلم الناس في الكيل والميزان : ومما يشير إلى هذا المرض الاقتصادي دعوة

سيدنا شعيب ، عليه السلام " الملحة قومه بأن يوفوا الكيل والميزان ولا ينقصوهما ، يقول الله - تعالى - : ﴿وَالْيَإَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَأْكُلُونَ أَمْ لَا يُؤْتِي الْوَيْلَ لَكُمْ أَنْ تَقُولُوا يَنْصِبُوا كَيْلَهُمْ ذُنُوبُهُمْ وَأَنْ يُصِيبُوا كَيْلَهُمْ كَيْلَ الْوَيْلِ الَّذِي كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ (١) .

(واعلم أن عادة الأنبياء " عليهم السلام " إذا رأوا قومهم مقبلين على نوع من أنواع المفسد إقبالاً أكثر من إقبالهم على سائر أنواع المفسد ، بدأوا بمنعهم عن ذلك النوع ، وكان قوم شعيب مشغوفين بالبخس والتطفيف ، فلهذا السبب بدأ بذكر هذه الواقعة ، فقال : ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾ (٢) .

ويقول الله - تعالى - في موضع آخر : ﴿وَالْيَإَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَأْكُلُونَ أَمْ لَا يُؤْتِي الْوَيْلَ لَكُمْ أَنْ تَقُولُوا يَنْصِبُوا كَيْلَهُمْ ذُنُوبُهُمْ وَأَنْ يُصِيبُوا كَيْلَهُمْ كَيْلَ الْوَيْلِ الَّذِي كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ (٣) .

(قيل : أى لا تنقصوا الناس من المكيال والميزان ، يعنى ما يكال ويوزن على ذكر المحل وإرادة الحال ، واستظهر أن المراد لا تنقصوا حجم المكيال عن المعهود ، وكذا الصنجات ، وقد تقدم في سورة الأعراف الكيل بدل المكيال ، فتذكر وتأمل) (٤) .

(٢) بخس الناس أشياءهم : بمعنى التقليل من قدر ما لدى غيرهم من السلع ، حتى

يحصلوا دليها بأبخص الأسعار ، وقد كرر شعيب عليه السلام " نهى قومه عن هذا المرض الاقتصادي ؛ لما له من تأثير سئ على صحة الاقتصاد .

قال الله - تعالى - على لسان شعيب عليه السلام : ﴿.. وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ...﴾ (٥) .

(أى لا تنقصهم ، يقال : بخسه حقه إذا نقصه إياه ، ومنه قيل للمكس : البخس ، وفي أمثالهم : تحسبها حمقاء وهى باخس ، أى ذات بخس ... وقد يراد بالأشياء الحقوق مطلقاً ، فإنهم كانوا مكسين لا يدعون شيئاً إلا مكسوه ؛ وقد جاء عن ابن عباس " رضى الله تعالى عنهما " أنهم كانوا قوماً طغاة بغاة ، يجلسون على الطريق ؛ فيبخسون الناس أموالهم ،

(١) سورة الأعراف من الآية (٨٥) .

(٢) التفسير الكبير - للإمام الرازى - ج ١٤ ص ١٧٣ .

(٣) سورة هود الآية (٨٤) .

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - للعلامة الألوسى البغدادى - ج ١٢ ص ١٤٤

- ط . الرابعة - م . دار إحياء التراث العربى - بيروت .

(٥) سورة الأعراف من الآية (٨٥) ، وسورة هود من الآية (٨٥) .

وكانوا إذا دخل عليهم الغريب يأخذون دراهمه الجياد ، ويقولون : دراهمك هذه زيوف ، فيقطعونها ثم يشترونها منه بالبخس ، وروى أنهم يعطونه — أيضاً — بدلها زيوف^(١).

(٣) **الإفساد في الأرض** : خلق الله — تعالى — الأرض صالحة لحياة كل الكائنات التي جعلها الله في الأرض ، ولكن قد يطرأ عليها الفساد بسبب انحراف الإنسان عن منهج الله — تعالى — وقد يظن بعض الناس أنهم يصلحون الأرض بما تكسبه أيديهم من ابتكارات في النواحي الاقتصادية وغيرها ، والحقيقة أن العكس صحيح، طالما ابتعدوا عن منهج الخالق اللطيف الخبير ، وما أوضح إشارة الله — تعالى — إلى هذا المعنى في قوله — تعالى — : ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(٢).

ولقد نهى نبي الله شعيب " عليه السلام " قومه عن الإفساد في الأرض بعدما أمرهم بعبادة الله وحده وتقواه ، وإيفاء الكيل والميزان ، ونهاهم عن بخس الناس أشياءهم وعن الصد عن منهج الله — تعالى — ، وكأنه يعلمهم ، ويعلم البشر جميعاً أن مخالفة ما أمر به ونهى عنه تمثل العوامل الرئيسية لإفساد الأرض . وقد ذكر الله — تعالى — نهى شعيب قومه عن الإفساد في الأرض في أكثر من موضع : ﴿..وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٣) .. وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ^(٤).

(معناه ولا تسعوا في إفساد مصالح الغير ، فإن ذلك — في الحقيقة — سعى منكم في إفساد مصالح أنفسكم . والثاني أن يكون المراد من قوله : ﴿وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ : مصالح دنياكم وآخرتكم . والثالث : مصالح الأديان^(٥) . ولا فرق بين مصالح الدنيا ومصالح الدين ؛ لأن الارتباط بين مصالح الدنيا ومصالح الدين وثيق ، فهما متلازمان وجوداً وعدماً .

ثالثاً : معالجة نبي الله شعيب " عليه السلام " لهذه الأمراض الاقتصادية :

بعدما أمر شعيب " عليه السلام " قومه بعبادة الله وتقواه ، وإيفاء الكيل والميزان ، ونهاهم عن بخس الناس أشياءهم ، ومحاولة إبعاد الناس عن منهج الله — تعالى — والإفساد في الأرض ،

(١) روح المعاني — للعلامة الألوسي — ج ٨ ص ١٧٦ ، ١٧٧ بتصرف .

(٢) سورة الروم الآية (٤١) .

(٣) سورة الأعراف من الآية (٨٥) .

(٤) سورة هود من الآية (٨٥) ، وسورة العنكبوت من الآية (٣٦) .

(٥) التفسير الكبير — الإمام الرازي — ج ١٨ ص ٤٢ .

حاول — ضمناً — معالجة ما وصلت إليه حياتهم الاقتصادية من مرض ، وذلك من خلال توجيهات حكيمة ، تتمثل في الآتي :

(١) التذكير بنعم الله تعالى : (وطريق شعيب " ﷺ " إلى إعادة التوازن في قومه مدين بعد محاولة بناء العقيدة الصحيحة ، والدعوة إلى العدل في الكيل والميزان ، وعدم بخس الناس ، وإنصاف الضعفاء ، مع حفظ حق أصحاب المال في مباشرة التجارة والربح ، دون ظلم لهم أو لغيرهم من الناس ، ودون انحراف أو طغيان ؛ ليكون المال وسيلة لا غاية ، وسبيلاً إلى السعادة ، لا معبوداً يجلب على أهله التعاسة والشقاء ، فضلاً عما ينزل بغيرهم من العناء والحرمان) (١) .

في نفس الوقت ذكر شعيب " ﷺ " قومه بنعم الله — تعالى — يشير إلى ذلك قول الله — تعالى — على لسان شعيب: ﴿.. وَادْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ..﴾ (٢) وقوله — تعالى — أيضاً على لسان شعيب: ﴿.. إِنِّي أُرَاكُمْ بِخَيْرٍ..﴾ (٣) ، وفي هذا تذكير لهم بنعم الله — تعالى — عليهم في ماضيهم وحاضرهم ، مما يدعوهم إلى الإذعان لمنهج صاحب النعم .

(٢) بيان أن هدفه الوحيد هو إرادة الإصلاح : (فهو ينبههم إلى أنه لا يسألهم عن دعوته أجراً ، فهو يحتسب أجره عند الله ، وهذه صفة المخلصين) (٤) وهو يذكرهم — في نفس الوقت — أنه مُنْعَمٌ عليه من قبل الله — تعالى — فهو ميسور الحال ، وليس في حاجة إلى أموالهم ، يشير إلى ذلك قول الله — تعالى — على لسان شعيب " ﷺ " : ﴿قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَакُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أَنِيبُ﴾ (٥) .

(٣) تخويفهم من العاقبة التي تحل بالمفسدين : فقد حذرهم من أن شقاقهم إياه ومخالفتهم للمنهج الذي جاء به ، يجعلهم عرضة لأن يصيبهم مثل ما أصاب من قبلهم ممن خالفوا دعوة رسلهم ، وحادوا عن المنهج الذي جاءوا به .

(١) راجع : الدعاة إلى الله في القرآن الكريم ومناهجهم — د / محمد طلعت أبو صير — ص ١٤٥ .

(٢) سورة الأعراف من الآية (٨٦) .

(٣) سورة هود من الآية (٨٤) .

(٤) مع الأنبياء والرسل — د / عبد الحليم محمود — ص ٢٠١ بتصرف .

(٥) سورة هود الآية (٨٨) .

يشير إلى ذلك قول الله - تعالى - على لسان شعيب " الطه " : ﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ﴾ (١).

(٤) **حثهم على الاستغفار والتوبة** : لقد دعا شعيب " الطه " قومه إلى الاستغفار

والتوبة ؛ 'أنهما من العوامل الفاعلة لإنماء الحياة الاقتصادية ، فالاستغفار والتوبة هما السيلان الموصلان إلى منهج الله - تعالى - والانتفاع به ، وبالتالي تحدث البركة والذاء والعون من الله - تعالى - الرحيم الودود ، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة على لسان بعض الأنبياء مثل نوح وهود وشعيب " عليهم السلام " يقول الله - تبارك وتعالى - على لسان نوح " الطه " : ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ (٢).

ويقول - تعالى - على لسان هود " الطه " : ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ (٣) ، وجاء - على لسان شعيب " الطه " - : ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ (٤).

ومن خلال ما سبق - في هذا المطلب - يبدو واضحاً أن نبي الله شعيباً " الطه " بأسلوبه الدعوى البليغ قد ساطع أن يشخص تشخيصاً دقيقاً أمراض قومه الاقتصادية ، وأن يضع لها العلاج الناجح الذي يستطيع القضاء على تلك الأمراض قضاءً مبرماً؛ فيعيش المجتمع بعده معافاً في موارده ، صحيحاً في اقتصادياته .



(١) سورة هود الآية (٨٩) .

(٢) سورة نوح الآيات (١٠ ، ١١ ، ١٢) .

(٣) سورة هود الآية (٥٠) .

(٤) سورة هود الآية : (٩٠) .

المطلب الثالث

خلاصة هدى نبي الله شعيب " عليه السلام "

في الجانب الاقتصادي

من يتفحص مراحل التاريخ ، يلاحظ أن أفكار البشر وسلوكياتهم تتكرر وتتجدد ، غير أنهما يبدوان في مظهر وبأسلوب يتناسب مع طبيعة ومفاهيم كل عصر ؛ ومن هنا ظهرت أهمية دراسة التاريخ ، والقرآن الكريم قد أشار إلى هذه الحقيقة عملياً وإرشادياً : فبالنسبة للناحية العملية ذكر كثيراً من قصص الأولين ، وبطرق متنوعة ، تراعى كل منها موطن العظة ومكمن الاعتبار .

وبالنسبة للناحية الإرشادية ، فقد دعا القرآن الكريم إلى الاعتبار بهذه القصص ، ومما يؤكد ذلك قول الله - تعالى - : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهَذِي رَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(١) وقصص الأنبياء هي - بالطبع - في الصدارة من هذه القصص ، وقصة سيدنا شعيب " عليه السلام " وقومه : مدين ، هي موطن هدى وموضع اعتبار في هذا البحث ، وخاصة في الجانب الاقتصادي .

(ومجتمع مدين يصور - في القديم - مجتمع الرأسمالية في الحديث، حيث الحرية في الأموال، يفعل بها أصحابها ما يشاءون، دون مراعاة لحقوق الغير، ولا مبالاة بما يجره عليه تصرفهم المطلق، الذي لا تحده حدود، ولا تمنع الضرر من ورائه قيود - أى قيود - حتى لا يكون هناك مستكثرون عتاة، ومحرومون بؤساء .

على أن الإصلاح الذي دعا إليه شعيب " عليه السلام "، لم يكن سبيله إشعال نار الحقد والكراهية في نفوس اناس ضد بعضهم البعض، بل إعادة المحبة والإخاء بين الجميع، عن طريق جعل الغاية العليا التي يسعون إليها هي تحقيق الروحية الإنسانية لا المادية وحدها ؛ لأنها جزء لا كل ، بل هي الجزء الأقل في الإنسان)^(٢).

(١) سورة يوسف الآية (١١١) .

(٢) راجع الدعاة إلى الله في القرآن الكريم - د / محمد طلعت أبو صير - ص ١٤٤ ، ١٤٥ .

ومن هنا فالناس في حاجة ماسة إلى هدى نبي الله شعيب "عليه السلام" في الجانب الاقتصادي ، هذا الهدى الذى يتلخص فى النقطتين الآتيتين :

أولاً : خلاصة هدى شعيب "عليه السلام" فى جانب التشخيص :

لقد شخص شعيب "عليه السلام" "داءات الحياة الاقتصادية — لدى قومه — تشخيصاً دقيقاً ، يستطيع كل عاقل — من خلاله — أن يتخذ الوقاية الكافية لسلامة الاقتصاد ، فى كل زمان ومكان ، وتتخلص سبل الهداية — عبر هذا التشخيص — فى الأمور الآتية :

١ — **عدم التطفيف فى الكيل والميزان** : لقد أكد سيدنا شعيب "عليه السلام" على هذا الأمر : مرة بالأمر بالإيفاء ، ومرة بالنهى عن الإنقاص ، والكيل والوزن من الأساليب التجارية القديمة ، والتي لا يُستغنى عنها فى أى عصر ، ولكنها قد تتغير الكيفية — على قدر التقدم التقنى لكل مجتمع — ولكنها مع هذا لا تخرج عن حقيقة الكيل والوزن .

ولأهمية هذا الأمر توعده الله — تعالى — المطففين بالويل والعذاب ، فقال — تعالى — : ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾^(١) ، وقد حث الرسول "ﷺ" على الاستيفاء : (فعن عبد الله بن عمر "رضي الله عنه" أن رسول الله "ﷺ" قال : من ابتاع طعاماً فلا يبيعه حتى يستوفيه)^(٢) (وعن جابر بن عبد الله "رضي الله عنه" قال : قال رسول الله "ﷺ" : إذا وزنتم فارجحوا)^(٣) .

ولم يكن حث الرسول "ﷺ" على توفية الكيل والوزن بالقول فقط ، بل كان عملياً ، مما يؤكد على أهمية هذا الأمر فى حياة الناس .

(فعن جابر بن عبد الله "رضي الله عنه" قال : لما قدم النبی "ﷺ" المدينة دعا بميزان فوزن لى وزادنى)^(٤) .

(١) سورة المطففين الآيات (١ ، ٢ ، ٣) .

(٢) صحيح الإمام البخارى بحاشية السندى — كتاب البيوع — باب الكيل على البائع والمعطى — ج ٢ ص ١٥ — م . دار إحياء الكتب العربية .

(٣) سنن ابن ماجه — تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي — كتاب التجارات — باب الرجحان فى الوزن — ج ٢ ص ٧٤٨ — حديث رقم (٢٢٢٢) — م . دار إحياء الكتب العربية .

(٤) سنن النسائى بشرح الحافظ السيوطى وحاشية السندى — كتاب البيوع — باب الزيادة فى الوزن — ج ٧ ص ٢٨٣ — دار الحديث .

ولما فهم المسلمون في السابق أهمية هذا الأمر — من خلال توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة — كان من بين القضايا التي ينظر فيها المحتسب : (منكرات الأسواق : مثل بيع الخمر وسائر المحرمات ، ونقص المقياس ، وتطفيف الميزان ، والمبيعات المغشوشة إلى غير ذلك من المعاملات الجارية في الأسواق)^(١).

٢ — عدم البخس في عروض التجارة : فقد نهى سيدنا شعيب " عليه السلام " قومه عن بخس الناس أشياءهم ، وهو محاولة التقليل من قيمة ما لدى الناس من عروض للتجارة ، مع كثرة المدح والثناء على ما لديهم هم في المقابل ؛ وذلك لكي يحصلوا على ما لدى الغير بأبخص الأسعار ، ويبيعوا ما عندهم للغير بأعلى الأسعار ، وهذا ما يعرف بالتدليس التجاري ، وقد أخذ هذا الأمر شكلاً مميزاً — في هذا العصر — فتقوم به جماعة من الوسطاء ، وهم ما يعرفون بالسماصرة ، وهم — غالباً — ما يتبعون سبيل البخس أو المكس إلا من رحم الله — تعالى — .

وقد نهى القرآن الكريم عن هذا الأمر ، وعن غيره مما يوصل إلى أخذ أموال الناس بالباطل ، فقال — تعالى — : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا * وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾^(٢).

ومن خلال فعل رسول الله " ﷺ " يستنتج عدم رضاه عن اسم السماصرة : (فعن قيس بن أبي غرزة ، قال : كنا نسمى في عهد رسول الله " ﷺ " السماصرة ، فمر بنا رسول الله " ﷺ " فسمانا باسم هو أحسن منه ، فقال : يا معشر التجار إن البيع يحضره الحلف واللغو ، فشوبوه بالصدقة)^(٣).

كما أن الرسول " ﷺ " قد حث على التسامح في البيع والشراء والاقتضاء .
(عن جابر بن عبد الله " رضى الله عنه " أن رسول الله " ﷺ " قال : رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى)^(٤).

- (١) مجلة عالم الفكر — المجلد الحادى عشر — العدد الأول — إبريل — مايو — يونيو — عام ١٩٨٠م — ص ١٥٩ — تصدر عن وزارة الإعلام بالكويت .
- (٢) سورة النساء الآيات (٢٩ ، ٣٠) .
- (٣) سنن ابن ماجه — تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي — كتاب : التجارات — باب : التوفى في التجارة — ج ٢ ص ٧٢٥ ، ٧٢٦ — حديث رقم ٢١٤٥ .
- (٤) صحيح الإمام البخارى بحاشية السندى — كتاب البيوع — باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع ومن طلب حقاً فليطلبه في عفاف — ج ٢ ص ٧ .

٣ — عدم الإفساد في الأرض والصد عن منهج الله — تعالى — : لقد حذر شعيب " **الطَّيِّبُ** " قومه من الإفساد في الأرض بعدما جعلها الله صالحة : بما أودع فيها من إمكانيات الصلاح ، وبما أنزل من منهج يحافظ على هذا الصلاح وينميها ، يبدو هذا التحذير واضحاً من خلال ما ذكره القرآن الكريم على لسان شعيب " **الطَّيِّبُ** " حيث قال لقومه : ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ، ﴿وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ . كما حذرهم من الصد عن منهج الله — تعالى — ، وذلك في قوله : ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ والإفساد في الأرض والصد عن منهج الله — تعالى — هما أس التدمير ومكمن الخراب ، وعليها اعتمد الشيطان ، واتبعه ، وتتبعه كل القوى المنحرفة المغرضة ، وذلك في الماضي وفي الحاضر ، وعبر مراحل التاريخ المتعاقبة ، ولا فكاك — من الشيطان وأتباعه ولا سلامة إلا بالرجوع إلى منهج الله — تعالى — الذي خلق الكون كله بما فيه ومن فيه !!

ثانياً : خلاصة هدى شعيب " **الطَّيِّبُ** " في جانب العلاج :

بالإمكان استخلاص بعض الفوائد الاقتصادية من هدى سيدنا شعيب " **الطَّيِّبُ** " في جانب العلاج لمشكلات أو أمراض قومه الاقتصادية ، وذلك من خلال الآتي :

١ — ربط الاقتصاد بالإيمان بالله — تعالى — ومراقبته : فقد حرص سيدنا شعيب " **الطَّيِّبُ** " على هذا الربط ، تأكيده ؛ ففي كل النداءات التي وجهها لقومه ، بدأها بالأمر بعبادة الله وحده ، وتقواه ، ورجاء اليوم الآخر ؛ وذلك لأن الاقتصاد وغيره من نشاطات الحياة ، إذا ارتبط بالعقيدة الصحيحة ، ضُمن له الاستمرار ، والنماء ، وعموم الانتفاع بجميع موارده ؛ ولهذا حرص الإسلام دلي هذا الربط ، وتدعيمه ، والارتقاء به .

(فإن النشاط الاقتصادي ، وإن كان مادياً — بطبيعته — إلا أنه مطبوع بطابع ديني أو روحي ، هذا الطابع قوامه الإحساس بالله — تعالى — وخشيته وابتغاء مرضاته ، وأساس ذلك أنه — بحسب منهج الإسلام — لا يتعامل الناس مع بعض فحسب ، وإنما يتعاملون — أساساً — مع الله — تعالى — فإذا كانت الاقتصادية تقوم على أساس المادة، وهي وحدها التي تصوغ علاقات الأفراد بعضهم ببعض، فإن الأساس في الاقتصاد الإسلامي هو الله — سبحانه

وتعالى —، وأن خشيتَه وابتغاء مرضاتِه، والتزام تعاليمه هي التي تصوغ علاقات الأفراد بعضهم ببعض^(١)

(وإن أكبر ضمان لنجاح التنمية الاقتصادية واستمرارها ، هو ارتفاع الإسلام بالتنمية إلى مرتبة العبادة ، إذ لم يكتف بالحث على العمل والإنتاج بمثل قول الله — تعالى — : ﴿ وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾^(٢)

بل اعتبر العمل — في ذاته — عبادة ، وأن الفرد قريب من الله ، ومثاب على عمله الصالح في الدنيا وفي الآخرة ، يتضح ذلك من خلال قول الله — تعالى — : ﴿ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾^(٣) (٤) .

ومن المعروف أن المال هو عصب الاقتصاد، وقد أوضح الإسلام أن صاحب المال الحقيقي هو الله — تعالى —، فقد ورد في القرآن الكريم: ﴿ ..وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ.. ﴾^(٥)، وقوله تعالى: ﴿ ..وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ.. ﴾^(٦) فأصحاب المال في الدنيا ما هم إلا مستخلفين فيه عن الله — تعالى — والله وحده هو المالك الحقيقي للمال ولكل المخلوقات !!

(والإسلام يسير في " سياسة المال " على هدى نظريته العامة ، وفكرته الشاملة ؛ يلاحظ أولاً في هذه السياسة — سياسة المال — تحقيق معنى العبودية لله وحده ، بأن يخضع تداول المال لشرع الله — تعالى — وهذا الشرع يحقق مصلحة الفرد ، ويحقق مصلحة الجماعة، ويقف بين ذلك قواماً ، لا يضار الفرد ولا تضار الجماعة ، ولا يقف في وجه الفطرة، ولا يعوق سنن الحياة الأصلية ، وغاياتها العليا البعيدة)^(٧) .

ويشير الإمام ابن القيم إلى أنواع المال من حيث الكسب والإنفاق ، فيقول : (الدراهم أربعة: درهم اكتسب بطاعة الله وأخرج في حق الله فهو خير الدراهم ، ودرهم اكتسب

(١) الوجيز في الاقتصاد لإسلامي — د / محمد شوقي الفنجري — ص ٦٤ — ط. الأولى — م . عير للكتاب والأعمال التجارية — ن . دار الصحوة للنشر والتوزيع .

(٢) سورة التوبة من الآية (١٠٥) .

(٣) سورة الشورى الآية (٢٦) .

(٤) التنمية الاقتصادية في المنهج الإسلامي — عبد الحق الشكير — ص ١٤٨ — ط. الأولى — كتاب الأمة رقم (١٧) مطابع أخبار اليوم .

(٥) سورة النور من الآية (٣٣) .

(٦) سورة الحديد من الآية (٧) .

(٧) العدالة الاجتماعية في الإسلام — الشيخ / سيد قطب — ص ١١٣ — ط. السابعة — مطابع الشروق .

بمعصية الله وأخرج في معصية الله فذاك شر الدراهم ، ودرهم اكتسب بأذى مسلم وأخرج في أذى مسلم فهو كذلك ، ودرهم اكتسب بمباح وأنفق في شهوة مباحة فذاك لا له ولا عليه .
هذه أصول الدراهم ، ويتفرع عليها دراهم أخر : منها : درهم اكتسب بحق وأنفق في باطل ، ودرهم اكتسب باطل وأنفق في حق فإنفاقه كفارته ، ودرهم اكتسب من شبهة فكفارته أن يُنْفَق في طاعة . وذما يتعلق الثواب والعقاب ، والمدح والذم بإخراج الدرهم ، فكذاك يتعلق باكتسابه ، وكذلك يُسأل عن مستخرجه ومصرفه : من أين اكتسبه وفيما أنفقه؟^(١).

٢ — تذكر نعم الله — تعالى — والتذكير بها ، وابتغاء الإصلاح : فقد ذُكر نبي الله شعيب "عليه السلام" قومه بنعم الله — تعالى — عليه وعليهم ، فقال — كما ذكر القرآن الكريم — : ﴿ قَالَ يَاقَوْمِ اَرَأَيْتُمْ اِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ فهذا تذكر منه لنعم الله عليه ، وتذكير لقومه بها ؛ حتى لا يظنوا أنه يبتغي من وراء دعوته أجراً منهم ؛ ومن هنا فالداعي إلى منهج الله -- تعالى -- لا بد أن يكون على ثقة تامة وقناعة كاملة بما أنعم الله — تعالى — به عليه من عَم أو مال ؛ حتى تثمر جهوده .

كما أن شعيباً "عليه السلام" قد ذكرهم بنعم الله — تعالى — عليهم في ماضيهم وحاضرهم : فبالنسبة لماضيهم ، فقد قال لهم — كما ذكر القرآن الكريم — : ﴿ وَاذْكُرُوا اِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَثَرَكُمْ ﴾ ، وبالنسبة لحاضرهم قوله : ﴿ بِقِيَّةِ اللّٰهِ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ . كما وضح لهم أنه ما يريد إلا الإصلاح ما استطاع إليه سبيلاً ، هذا الإصلاح الذي يعود عليهم بالخير والفلاح في دنياهم وآخرتهم .

وذلك واضح من خلال قوله : ﴿ اِنْ اُرِيدُ اِلَّا الْاِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي اِلَّا بِاللّٰهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ اُنِيْبُ ﴾ .

فإذا أردنا لاقتصادنا نماءً ، فلا بد أن نتذكر نعم الله علينا ، وأن نكون على قناعة تامة بما حبانا الله به من نعد ، وأن نستغلها الاستغلال الصحيح ، ولا نطمع فيما لدى غيرنا من مبادئ وأفكار أو أموال ومتاع .

وفي نفس الوقت ينصب هدفنا في إرادة الإصلاح ؛ الإصلاح لنا ولكل الناس ابتغاء مرضاة الله — تعالى — مع اليقين بتوفيقه .

ونحن أمة الإسلام لدينا نعم هائلة : فكرية متمثلة في منهج الإسلام ، ونعم مادية عديدة ، ومع ذلك ابتغينا الهدى فيما لدى الغير من مفاهيم وضعية زائفة ، وتركنا ثرواتنا للغير

(١) الفوائد للإمام ابن القيم — ص ١٦٩ ، ١٧٠ — مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية .

الجوانب الاقتصادية في حياة نبي الله شعيب على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأتم السلام
أ.د/ أحمد عبد المبدى أحمد النجمي

والأخذ بالأساليب العلمية في العمل والإنتاج مسلك إسلامي لضمان تنمية الاقتصاد ،
وهو ما يعبر عنه بالاصطلاح الأجنبي : تكنولوجيا ، وبالاصطلاح العربي : تقنية ، وهو
اصطلاح يعنى الإجابة والإتقان ، وهذا ما دعا إليه الإسلام في جميع مناحي الحياة ..



قائمة المراجع

- أولاً : القرآن الكريم — كتاب الله العزيز .
ثانياً : كتب التفسير :
- (١) تفسير القرآن العظيم — للحافظ ابن كثير — مكتبة التراث الإسلامي — حلب
 - (٢) التفسير الكبير — للإمام فخر الدين الرازي — دار إحياء التراث العربي — بيروت .
 - (٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم — د / محمد سيد طنطاوي — دار السعادة .
 - (٤) روح المعاني — للعلامة الألوسي البغدادي — دار إحياء التراث العربي — بيروت .
- ثالثاً : كتب الحديث :
- (٥) الترغيب والترهيب — للمنذرى — مكتبة الدعوة الإسلامية .
 - (٦) سنن ابن ماجه — دار إحياء الكتب العربية .
 - (٧) سنن النسائي — دار الحديث .
 - (٨) صحيح الإمام البخاري بحشاية السندی — دار إحياء الكتب العربية .
- رابعاً : معاجم اللغة ودوائر المعارف :
- (٩) دائرة المعارف الكتابية — د/ منيس عبد النور وآخرون — دار الثقافة .
 - (١٠) قاموس الكتاب المقدس — دار الثقافة .
 - (١١) لسان العربي — لابن منظور — دار صادر — بيروت .
 - (١٢) معجم الحضارات السامية — هنري س عبودي — جروس برس — طرابلس — لبنان .
- خامساً : مراجع أخرى :
- (١٣) بدائع الزهور ووقائع الدهور آ لابن إياس — دار إحياء الكتب العربية
 - (١٤) تاريخ الأنبياء — د / محمد الطيب النجار — دار النصر للطباعة الإسلامية .
 - (١٥) التنمية الاقتصادية في المنهج الإسلامي — عبد الحق الشكيري — مطابع أخبار اليوم .
 - (١٦) الدعاة إلى الله في القرآن الكريم — د / محمد طلعت أبو صير — المطبعة العربية الحديثة .
 - (١٧) عالم الفكر — مجلة تصدر عن وزارة الإعلام بالكويت .

- (١٨) العدالة الاجتماعية — الشيخ / سيد قطب — دار الشروق .
(١٩) الفوائد — للإمام ابن القيم — دار الطباعة والنشر الإسلامية .
(٢٠) مع الأنبياء والرسول — د / عبد الحليم محمود — مطابع دار المعارف
(٢١) نهج البلاغة — للإمام علي " عليه السلام " — مؤسسة المعارف — بيروت .
(٢٢) الوجيز في الاقتصاد الإسلامي — د / محمد شوقي الفنجري — دار الصحوة للنشر
والتوزيع .

تم البحث بحمد الله — تعالى — وتوفيقه ..
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ..

